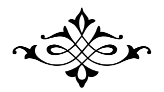
علو الهمة



لفضيلة الشيخ

سليمان بن ناصر العلوان

علو الهمة



لفضيلة الشيخ:
سليمان بن ناصر العلوان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن أولى ما يَتنافس فيه المتَنافِسون، وأحَرْى ما يَتسابق في حلقة سِباقه المتَسَابقون، ما كان بسعادةِ العبد كفيلًا وإلى المعادِ دليلًا، وذلك هو: العِلم النافع والعمل الصالح اللذان لا سعادة للعبد إلا بهما وقد أرسل الله عبده ورسوله مُحَّد ﷺ بذلك فقال: ﴿**هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالهُدَى وَدِيْنِ الحَق**﴾ أي: **العلم والعمل**، وعلمٌ بلا عمل كشجر بلا ثمر لا فائدة منه، قال تعالى ﴿**أوَمَن كَاْنَ مَيْتًا فَأَحْيَيَنَاهُ**﴾ أي: **كان ميتا بالجهل فأحياه الله جل وعلا بالعلم**، وقيل: كان ميتا بالكفر فأحياه الله جل وعلا بالإسلام، والعلم منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، ويتأكد في وقت أكثر من وقت، وفي زمن دون زمن، وفي شخص دون شخص، ولذلك قد ذكر الحافظ النووي رحمه الله تعالى بأن العلم يكون فرض عين على رجل آتاه الله حفظًا وفهمًا لأنه في هذه الحالة يستطيع أن يتناول العلم وأن يأخذه وأن يذب عن كتاب الله تحريف المبطلين، وانتحال الجاهلين، فإنه يحمل هذا العلم من كلِّ خلفٍ عُدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وإن الله جل وعلا لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا كان العلماء يموتون، والجُهَّال لا يتعلمون، فإن العلم يندرس، وإذا خفي العلم في مجتمع حل الشرك محل التوحيد، وهذا موجود الآن في كثير من الأمصار، يجعلون الشرك توحيدًا ويجعلون دعاء غير الله وطلب المدد من الأموات والغائبين من الإيمان، وقد يرتكبون الشرك باسم المصلحة كالذين يناصرون الكفار على المسلمين تحت غطاء المصالح ويسمون الأسماء بغير مسمياتها، والعامَّة يتجاوبون مع كثير من هذا الطرح، لأن العلم خَفِيَ عليهم، فحل الكفر والشرك محل التوحيد، وحلت البدعة محل السنة، كالموالد النبوية وهي قد حدثت في حدود عام (٣٦٠) على أيدي العبيديين الذين يُسَمَّون بالفاطميين كذبًا وزورًا، طبعًا هم ليسوا بفاطميين هؤلاء هم أول من أحدث بدعة المولد، ويرون أن الذي لا يقيم هذه البدعة فإنه لا يحب النبي ﷺ، فيحلون البدع محل السنن، وحلت المعصية محل الطاعة، وحل الظلم محل العدل، جاء في صحيح البخاري من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في تفسير قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوْثَ وَيَعُوْقَ وَنَسْرًا**﴾. قال ابن عباس: (هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، أوحى الشيطان إليهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعْبَد حتى إذا نُسِخَ العلم هذه الرواية الصحيحة من نُسَخ صحيح البخاري جاء في بعض نُسَخ البخاري ونُسِي العلم والنُسَخ الصحيحة ونُسِخ العلم بمعنى: اندرس وذهبت

آثاره في هؤلاء فعبدوهم من دون الله لأن الشيطان دبَّ إليهم قال إن أوائلكم ما صَوَرُوا صورهم إلى لأنهم يعبدونهم وإلا لماذا صوروهم ؟ فعبدوهم من دون الله، الشأن في ذلك أن ذهاب العلم أدى إلى ظهور الشرك، وأن وجود العلماء يؤدي إلى وَأْد الشِّرك في مَهْدِه وقمع البدع وأهل الضلال، وهذا ليس لكل عِلْم إنما هو للعلم المَوْرُوث عن النبي ﷺ الذي تتمثل حقائقه في قلب حامله، وأما إذا كان العلم يُقَرر نَظَرِيًا ويُعْزَل عن أرض الواقع فمثل هذا العالم لا نستطيع أن نُمَثِّل صورته أعظم من تمثيل الله له في سورة الأعراف ﴿**كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَو تَتْرُكْهُ يَلْهَث**﴾ أو في سورة الجمعة ﴿**كَمَثِلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾

ولذلك حين سُئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى من نستفتي بعدك ؟ قال: سَلُوا عبد الوهاب الوَرَّاق، قيل: يا أبا عبدِ الله إنه قليل العلم، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: **معه ورع، معه ورع يمنعه أن يقول على الله ما لا يعلم،** فالورع يمنع الشخص أن يَقْفُ ما ليس له به علم، أو أن يجعل الحلال حرامًا والحرام حلالًا، أو يتجاوب مع الذين يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا ويُلَبِّسُونَ ويُخْفُون الحق ويقولون الباطل، وحين سُئل رحمه الله أيضا عن معروف الكرخي أثنى عليه خيرًا، فقال بعض الحاضرين: يا أبا عبد الله ليس بذاك، لأن بعض الناس يتصور أن من جَمَعَ عِلمًا كثيرًا صار أفضل من غيره **هذا غير صحيح** فمن جَمَعَ عِلمًا بلا عمل فهذا لا يُغْنِي، ولو كان يُغْنِي عن صاحبه شيئًا لأغنى عن اليهود، والعبادة لو كانت تغني بدون علم لأغنت عن النصارى، وأنتم في كل يوم تقولون ﴿**غَيْرِ المَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِيْن**﴾ ومن بدائع كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في التحفة العراقية يقول: إن بعض العباد يقول في اليوم والليلة ﴿**غَيْرِ المَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِيْن**﴾ سبعَ عشرة مرة وهو من المغضوب عليهم ومن الضالين ولا يدري.

أثنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى على معروف الكرخي خيرًا، فقيل: ليس بذاك – أي في العلم – قال: وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف ؟ الله جل وعلا يقول عن أهل الكتاب ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَى تُقِيْمُوا التَوْرَاةَ وَالإِنْجِيْل**﴾ فهذا خِطابٌ للذين آمنوا وخِطابٌ لأهل القرآن، فيا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن، الصحابة ﷺ حين عملوا بالقرآن وتجاوبوا مع أخبار وأوامر القرآن وانتهوا عن نواهيه فتحوا البلاد شرقًا وغربًا ولم يكن بكثرةِ عدد ولا بِعُدَد، كان هذا بإيمانهم وصلاحهم وحسن سياستهم وإقامة العدل على نفوسهم قبل إقامة العدل على الآخرين، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يخطب بالناس ويقول إذا اعوججت فقوموني ويقول ذلك صدقًا، قد يقول بعض الناس إذا أخطأت ردُّوا

عَلَي وهو يكذب لو يرد عليه شخص لغضب، فأبو بكر يقول ذلك صدقًا ولذلك هذا طبعًا أثر صحيح، رواه مُحَمَّد بن إسحاق في السيرة، قال حدثنا الزهري، قال حدثنا أنس، هذا إسناده صحيح، وجاء في البخاري أيضًا من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة حين جاءت فاطمة والعباس وجماعة يطلبون ميراث النبي ﷺ من أبي بكر، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنّي أخشى إن تركتُ شيئًا من أمري من فعل النبي صلى الله عليه وسلم أن يزيغ قلبي، وكان يقرأ في صلاة المغرب في الركعة الثالثة بعد الفاتحة ﴿**رَبَنَا لَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَة**﴾ هذا رواه الإمام مالك رحمه الله تعالى في الموطأ بسند صحيح.
قال المتنبي:

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُوْ نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهَامِ
وَمَنْ يَجِدِ الطَرِيْقَ إِلَى المعَالِي ... فَلَا يَذَرُ المُطِيَّ بِلَا سَنَامِ
وَلَمْ أَرَ فِيْ عُيُوْبِ النَّاسِ شَيْئًا ... كَنَقْصِ القَادِرِيْنَ عَلَى التَمَامِ

فما دام أحدكم في فترة الشباب وقادر على تناول العلم وفهمه وضبطه فإنه يُغبن حين لا يُسَخِّر هذه الجُهود وهذه الطاقات في هذا العلم للعمل، ومواجهة أهل البدع وأهل الضلال والمنحرفين، من الرافضة، والعلمانيين، واللبراليين، والمرجئة، وعامة طوائف أهل البدع، من الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والكَرَّامِيَّة، وغيرها من الطوائف المسْتَجِدَّة والطوائف الموجودة في أرض الواقع، يواجه أهل الضلال الذين يريدون أن تكون بلاد المسلمين بؤرة فساد ومرتع رذيلة لكل غادٍ ورائِح، لا نستطيع مواجهة هؤلاء إلا **بالتسلح العلمي**، وإذا اقترن بذلك العمل استطاع أحدنا أن يؤدي الرسالة على الوجه المطلوب، وما دام العبد صغيرًا يستطيع أن يحفظ إذا تقدم به العمر يستطيع أن يفهم لكن لا يستطيع أن يحفظ، وحرف في فؤادي ولا ألف في كتابي.

عليك بالحفظ دون جمع الكتب ... فإن للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها ... والفأر يخرقها واللص يسرقها

وقد علت همم الأوائل في طلب العلم، ومن عرف قدر العلم هان عليه ما يُلاقي في سبيل تحصيله، وحين نستقرئ كتب السِيَر والتواريخ نُحْصِي المئات من أئمة الهدى يحفظون القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغ العاشرة، فمن أئمة التابعين الحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وأمثال هؤلاء، ومن الذين يلونهم كأيوب، وكالسفيانَيْن، وأمثال هؤلاء، ومن الذين يلونهم كمالك، وكالقعنبي، وكحمَّاد، ونحو هؤلاء، ومن الذين يلونهم كالشافعي، وأبي زُرعة، وأبي حاتم، وأمثال هؤلاء، ومن الذين يلونهم كابن خُزيمة، وكأبي

إسماعيل الأنصاري الهَرَوِي، ومن الذين يلونهم كالنووي، وكالعز بن عبد السلام، ومن الذين يلونهم كابن تيمية، والحافظ المِزّي، وابن القيم، وابن كثير، ومن الذين يلونهم كالحافظ بن رجب، وكالحافظ بن حجر، ومن الذين يلونهم كالهيثمي، والسيوطي، وشيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وأمثال هؤلاء عليهم رحمة الله تعالى يحفظون القرآن قبل العاشرة، العلم لا يُنال براحة الأبدان يحتاج إلى جِد واجتهاد، لا يستطيع أحدٌ الآن أن يتناول مبلغًا ماليًا إلى بأن يسعى إليه، والناس يعرفون هذا ويُدْرِكُونَ هَذا بِفِطَرِهِم، فلا يتأتى أخذُ العِلم الذي هو صفة من صفات رب العالمين ﴿**وكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ ولا يختلف أهل السنة في إثبات صفة العلم لله جل وعلا، فلا يتأتى تناول هذا العلم الشريف إلا ببذل الجهد، فإنه شريف ولا يناله إلا الشُرَفَاء، والعلم طيب ولا يناله إلا الطيبون، والعلم كريم ولا يناله إلى الكُرماء.

هذا هشام بن عمار شاب صغير، نماذج من همم الأوائل في صغر أسنانهم، عمره بحدود العاشرة أو أقل بقليل أو أكثر بقليل، أراد أن يطلب العلم ولم يكن عنده مال، فباع والده بيته وذهب ليستأجر وأعطاه المال ليطلب به العلم، من مِنَّا يبيع شيئًا يسيرًا ويُسَخِّر هذا المِال في طلب العلم وشراء الكتب؟! بعض الناس يدخلون المكاتب ويدورون في المكاتب ويبحثون عن كتب الوقف، والكتب التي توزع مجانًا، ولا يكلفون أنفسهم شراء الكتب الثمينة ما لم تأتِ إليهم في بيوتهم، يذهب إلى المكتبة ويقلب في الكتاب ويعجبه، فينظر إلى الصفحة الأولى ثم وسط الكتاب ثم ينظر ديباجة الكتاب الخلفيَّة وينظر السعر، إن كان بمبلغ ثلاثين ريال أربعين ريال وإلا وضع الكتاب، ولكن لا يتحرج أن يشتري شِماغًا يبلى بعد شهر أو شهرين بمائة وخمسين ريالًا ولا يبالي بذلك ولا يهمه، ويستكثر ثلاثين ريالًا على كتاب من كتب أئمة الإسلام، بينما كان الأوائل يصفون أنفسهم بالإفلاس كالزُهْرِي رحمه الله يصفه أهل الحديث بالإفلاس، يقول: لا ترى صاحب حديث إلا وهو مفلس. وذلك من جرّاء شراء الكتب والعمل أيضًا، يكونون من الكرماء ومن الأسخياء ومن الذين لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا.

ذهب هذا الشاب الصغير هشام بن عمّار صغير في سنه كبير في همته يطلب العلم وكان العلم آنذاك يُطلب على الإمام مالك في المدينة وهو الذي جاء فيه الخبر في أصح قولي العلماء، روى أحمد والترمذي في جامعه من طريق ابن جريج، عن أبي الزبير المكي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة**) رجَّح الإمام أحمد رحمه الله تعالى وقف هذا الخبر على أبي هريرة وله حكم المرفوع كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:

ومــا أتــى عــن صاحــبٍ بحيــث لا يُــقال رأيًا حكــمه الرفــع عـــلى
مــا قــال في المحصــول نحــو مــن أتــى فالحاكــم الرفــعَ لهـــذا أثبتـــا

وقال أبو عيسى عَقِبَهُ: وهذا حديث حسن صحيح. قال سفيان وجماعة: يراد به الإمام مالك. وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام بن تيمية.

فذهب هشام يطلب العلم على يديه فجلس وسط الدرس وكان شابًا صغيرًا لا يعرف آداب الطلب، فقال: يا أبا عبد الله حدِّثني! قال له مالك: ويحك اقرأ! فإذا غلطت رددنا عليك!

هذه طريقة جماعة من العلماء، وهذه أيضا طريقة جماعة من العلماء الذين أخذنا العلم على أيديهم، كان الطالب يقرأ وإذا غلط رد عليه، ويُعَلِّق على ما يتيسر من قراءته، وكانت طريقة آخرين أن الطلبة يحفظون ويشرح شرحًا واحدًا للجميع وفي كلٍ خير، فالمقصود أن المعَلِّم كما أحسن التحصيل في بداية طلبهِ يُحْسِن التوصيل للآخرين، فأعاد هشام على مالك فأعاد عليه مالك فأعاد هشام، فقال مالك: قم يا غُلام فاضربه خمسة عشر سوطًا أراد مالك بذلك أن يؤدبه، لأن العالم بمنزلة الوالد لأولاده، يؤدبهم بما يراه نافعًا لهم، فهو حين يُصَعِّرُ خَدَّه عنهم، أو حين يزجرهم، أو حين يتشاغل عنهم، لا يريد من وراء ذلك كبت مواهبهم، إنما يَهْدِف من وَرَاءِ ذلك أن يكون لهم أدب في بداية الطلب، فبكى هشام بن عمّار ولم يتعجب مالك أنه لم يهرب، بل تعجب أيضا حتى من البكاء، لأن الأصل من الطالب أنه لا يبتعد، خلاف طلبة العلم في هذا العصر يحضر درسًا أو درسين وحين يتشاغل عنه المعلم أو يسأله ويعتذر عن إجابته ربما ينفر عن الدرس ولا يُسْتَبْعَد أن يسبه عند باب المسجد، ولذلك كان الأوائل يتعلمون الآداب قبل العلم، ويتعلمون الأخلاق قبل العلم، ويتعلمون الأخلاق قبل العلم، ويتعلمون العمل الذي هو حصانة وثبات للعلم.

قال مالك: طالب حديث ويبكي؟!

مالك مهيب رحمه الله تعالى:

يَــدَعُ الجَــوَابَ فَـــلا يُرَاجَـــعُ هَيْبَـــةً وَالسَـائِلُــــونَ نَواكِـــــسُ الأذْقَـــــانِ
أَدَبُ الوَقَـــارِ وَعِـــزُّ سُـــلْطَانِ التُّقَـــى فَهُـــوَ المِطَـــاعُ وَلَـــيْسَ ذَا سُلْطَـــانِ

قال هشام: ما أبكي على الضرب. إذًا لماذا يبكي؟ يبكي لأن والده باع بيته وأعطاه المال ينتظر منه أن يكون عالمًا، كما صنع علي بن عاصم الواسطي يقول: أعطاني والدي مائة ألف درهم وقال: لا أرى وجهك حتى تحفظ مائة ألف حديث. فطاف البلاد شرقًا وغربًا، وحصَّل خيرًا كثيرًا، وكان له درس يحضره

ما لا يقل عن ثلاثين ألفًا، ذكر ذلك الحافظ الذهبي في تذكرة الحُفَّاظ.

فَرَقَّ له الإمام مالك، رقَّ لكلامه وتَعَجَّب من كِبَرِ همته! فقال له الإمام مالك: أبحني. أي: حللني على هذا، لأنه لم يعلم عذره، ظن أنه من الناس الذي يأتي وينشغل عن العلم.

فكان جوابه قال: لا أحللك! يريد من وراء ذلك أن يستفيد منه، فهو وإن كان في العاشرة من عُمرِهِ إلَّا أنّه في الأربعين من عقله ليس كأبناء عصرنا، أبناء عشرين وأبناء ثلاثين وأبناء أربعين، الذي لا يطارد جلدًا منفوخًا في الملاعب الرياضية يشاهد الفسقة والمنحرفين عبر الشاشات، كأنَّ هؤلاء فتحوا فلسطين، وحرروا أرض المقدس من الصهاينة، أو أنهم طردوا الصليبيين من أرض العراق، أو أنهم طردوا الروس من أرض الشيشان، أو أنهم فتحوا بلاد المسلمين المغتَصَبَة وأذلُّوا الشرك والمشركين، وجعلوهم يدفعون الجزية عن يدٍ وهم صاغرين، فهم يتغنون هؤلاء الآن بالفسقة والمنحرفين والمجرمين وأعداء الدين، وهذه من الخطط الماسونية لإشغال الشباب عن مهمتهم الحقيقية، ابن عمر ﷺ وهو في الرابعة عشر من عمره يتطاول للجهاد في غزوة أُحد، يتطاول للجهاد لعله يكون أحد الذين يتشرفون بالذبِّ عن هذا الدين بألسنتهم ورماحهم وسيوفهم، والمتأمل للتاريخ من أول ما دُوِّن التاريخ إلى عصرنا حين يُتَرْجَمْ لعالِمٍ – هذا باختلاف وجهة النظر – الآن التَرَاجُم أصبحت نظرية التراجُم الأوائل لا يُوصف شخص من الصحابة ولا من التابعين، إلا أنه غزا وفعل وفعل أكثر مما يُوصف بالعِلْم، يعني لا يمكن وأنفي أن يوجد ترجُمة لصحابي إلا ويقال في ترجُمته غزا أو تخلف عن عزوة كذا وإذا تخلف يذكرون عذره، يرون أن الدين لا يقوم إلا بمثل هذا، والآن أصبح الجهاد وصمة عار في جبين المسلمين، أصبح المجاهد إن لم يكن خارجيًا تكفيريًا فهو إرهابي مطرود يُقذف بكل قبيح، ولا عجب أن يوجد هذا في الحقيقة من المجرمين المنحلين الذين لا يعرفون الله ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، لكن هذا يوجد وبكل أسف حتى من بعض المنتسبين للعلم يتجاوبون للصحف ومع الإعلام، وعلى كلٍ نرجع إلى عقل وهمة هشام.

فقال مالك: أبحني. قال: لا أحللك. قال: بماذا تحللني ؟ قال: بأن تحدِّثني عن كل سوط ضربتني حديثًا. فلم يكن من مالك بُد إلا أن يحدِّثه، فحدَّثه خمسة عشر حديثًا، فلما فرغ قال: يا أبا عبد الله اضربني ثانية وحدثني!

اِصْـبِرْ عَلَـى مُـرِّ الجَفَـا مِـنْ مُعَـلِمٍ ... فَـإِنَّ رُسُـوْخَ العِلْـمِ فِـي نَفَرَاتِـهِ
وَمَـنْ لَمْ يَـذُقْ مُـرَّ التَّعَلُـمِ سَاعَـةً ... تَجَـرَّعَ ذُلَّ الجَهْـلِ طُـوْلَ حَيَاتِـهِ
وَمَـنْ فَاتَـهُ التَعْلِـيْمُ وَقْـتَ شَبَابِـهِ ... فَكَبِّـرْ عَلَيْـهِ أَرْبَعًـا لِوَفَاتِـهِ

وَذَاتُ الفَــتَى وَاللهِ بِالعِلْــمِ والتُقَــى إِذا لَمْ يَكُــوْنَا لَا اعْتِبَــارَ لِذَاتِــهِ

هذه همم صغار الأسنان وفيما بعد أصبحوا كبارًا في السن والقدر، هذا هشام الذي ضُرب أصبح فيما بعد شيخ البخاري! ولا يُروى حديث تحريم المعازف في البخاري إلا من طريقه، أما همم الأكابر فحدِّث ولا حرج، ابن حزم حين بلغ من الكبر عِتيًا وسُئل عن أمنيته ارتجل فقال:

مُنَايَــا مِــن الدُّنْيَــا عُلُــومٌ أَبُثُّــهَا وأنْشُرُهَــا فِــي كُــلِّ بَــادٍ وَحَاضِــرِ

دُعَــاءٌ إِلى القُــرْآنِ والسُنَــنِ التِــي تَنَاسَــى رِجَــالًا ذِكْرَهَــا فِي المِــحَاضِرِ

وألــزَمُ أَطْــرَافَ الثُّغُــورِ مُجَاهِــدًا إِذَا هَيْعَــةٌ ثَــارَتْ فَــأَوَّلُ نَافِــرِ

لألقَــى حِمَــامِي مُقْــبَلًا غَيْــرَ مُــدْبِرٍ بِسُــمْرِ العَــوَالِي والرِقَــاقِ البَوَاتِــرِ

كِفَاحًــا مَــعَ الكُفَّــارِ فِي حَوْمَــةِ الــوَغَى وأَكْــرَمُ مَــوْتٍ للفَتَــى قَتْــلُ كَافِــرِ

فَيَــا رَبِّ لا تَجْعَــل حِمَــامِي بِغَيْرِهَــا ولا تَجْعَلَــنِّي مِــنْ قَطِيــنِ المَقَابِــرِ



السؤال: طريقة بيع الأسهم عند البنوك غير الربوية هل هي جائزة؟ وذلك مثل ما تفعله اللجنة الشرعية في بنك الراجحي فحيث وضعت قائمةً للبنوك والشركات التي لا تتعامل بالربا.

الجواب: هو في الحقيقة أن البنوك يعني مهما كانت أسماؤها والشركات مهما كانت مسمياتها كالراجحي أو غيره لا يَنفكون من الربا ولكن فمستقل ومستكثر، ويختلف بنك أو شركة تنادي بالربا ويتعاملون بالربا الصريح عن أخرى الأصل في معاملاتهم الشرع وقد يُفرض عليهم الربا بصورة أو أخرى، وهذا يجر إلى الحديث عن مسألتين:

المسالة الأولى: مسألة التعامل في الجملة: إذا وجد الإنسان سبيلاً إلى التخلي عن التعامل مع البنوك الربوية لما لا يضره فهذا هو الأصل؛ لأنه بقدر ما يتعامل بقدر ما يرتاد هذه البنوك، وحينئذٍ يلقي نفسه مواقع التهم، وبقدر ما يتعامل معهم بقدر ما يترفع الاقتصاد الربوي؛ لأن الناس حين هذه البنوك الربوية تتهاوى.

النوع الثاني: المعاملات، وهي نوعان:

معاملة محرمة: فهذه حرام لو تتعامل مع أتقى الناس، إذ كان في ذلك شيءٌ من الجهالة أو في

ذلك شيءٌ من الغش أو الغرر أو الربا أو غيرُ ذلك.

النوع الثاني: المعاملة المباحة: كالتعامل مع البنوك الربوية في بيع وشراء مباح يعني: لا يدخله لا غرر ولا جهالة ولا ربا ولا بيع مالا يملكون ولا شيءٌ من ذلك؛ حينها تكون المسألة مباحة ولا حرج التعامل مع أهل الفسق والضلال حتى الكفار في بيع وشراء مادام ذلك تحت سياج الشرع.

وقد اقترض النبي ﷺ من يهودي واليهود أكلت الربا، وتوفي ﷺ ودرعه مرهونٌ عند يهودي بآصع من شعير، وهذا متفقٌ على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها.

وإذا وَجد غير هؤلاء يتعامل معهم لعله يكون فلعله يكون أورع وأتقى؛ لأن هؤلاء في الحقيقة لا يَنفكون عن أكل الحرام والكذب، فهم الآن يزعمون أنهم يتعاملون في المعادن ويتعاملون بالسيارات، أكثر البنوك الموجودة الآن حين يتأخر نزول الراتب على حسابهم يأخذون على التأخر نسبة وهذه النسبة ربوية، الذين يتعاملون بالمعادن قبل أن توقع العقد يبذلون لك المال بما بيعت له المعادن، سبحان الله كيف توفر المشتري بهذه السرعة وبهذه السهولة؟! وفي نفس الوقت هل يعني يوجد فعلاً معادن الناس بالآلاف وقد يبلغون الملايين يشترون المعادن يعني يوجد هذه المعادن لكل شخص حقه أم أنه حبر على ورق؟!

بيع المعادن كناحية فقهية جائز والتعامل بذلك حلال ولكن لابد أن تتأكد أنه فعلاً حين يريدون تسليمك هذه المعادن يقدرون على ذلك وأنهم يملكون السلعة قبل بيعها.

فحينئذٍ يكون جواب سؤال الأخ عن طريقة بيع الأسهم:

هي حلال مالم تكن الأسهم في ذاتها من المحرمات، أو تكون المعاملة في ذاتها من المحرمات؛ وحينئذٍ يجب على العبد أن يتجنب جملةً كثيرة من الشركات التي تروج للفساد في المجتمع كشركة الاتصالات مثلاً هي في الأصل أنها للاتصال لكن في ذلك شيءٌ من الحرام، فشركة الاتصالات هي التي تروج لنظام السبعمائة وتروج للعرب سات في القنوات الفضائية وتروج للقمار عبر الإذاعات وعبر القنوات وهم الذين يروجون لأكاديمي ستار ولغير ذلك، فلا يتأتى ترويج الفساد إلا عن طريقهم، فالإنسان لا يضع ماله في الحرام وينأى بنفسه، وبعض الناس يقول: أضع مالي مع هؤلاء ثم أتصدق به، سبحان الله تتصدق بالحرام!! تضع مالك في الحرام!

هذا يذكرنا بقصة الأصمعي، الأصمعي رحمه الله رأى رجلاً يسرق، يسرق ويتصدق فتعجب منه الأصمعي فجعل الأصمعي يلاحقه فسرق رمانة ثم وجد فقرياً فأعطاه فأمسك بيده الأصمعي وقال:

يا رجل رأيتك تسرق وتتصدق، قال: نعم أسرق وأتصدق، أنا إذا سرقت علي سيئة واحدة وإذا تصدقت لي عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة، فقال: يا جاهل ليس هذا، هذا إذا تصدقت بالمال الحلال أما المال الحرام فأنت مأزورٌ غير مأجور.

وهذا يدل يريده على وجه التخلص.

فمثل هؤلاء بعض الناس يضع أمواله في الأمور المحرمة ويقول: أنا أتصدق أخرج النسبة، هذا غير صحيح أنت تروج للحرام وترسخ ذلك في أرض الواقع ويجب أن تنأى بنفسك عن هؤلاء وأن تعتزلهم وألا تضع مالك في هؤلاء الذين يأكلون بمالك ومال الثاني والثالث الحرام ويروجون الفساد، وبقدر ما تضع بقدر ما ينالك من الإثم في ترويج الفساد في المجتمع ولو قرشاً واحدا.



السؤال: لو صلى رجلٌ بملابس مسروقة أو توضأ بماءٍ مسروق أو مغصوب وصلى بذلك، فهل صلاته صحيحة؟

الجواب: في ذلك خلاف بين العلماء ولكن الحنابلة يبطلون الصلاة في ذلك ويرون بطلان الصلاة في أرضٍ مغصوبة وماءٍ مغصوب ونحو ذلك.

وهذا المذهب ضعيف، والصواب ما ذهب إليه أكثر الأئمة من صحة الصلاة؛ لأن هذا غير متعلق بشرط من شروط العبادة، ليس من شروط الوضوء أن يكون الماءُ حلالاً، من شروط الوضوء أن يكون الماءُ طاهراً، وليس من شروط أن تصلي في أرضٍ مباحة، لكن لو ستر عورته بمالٍ مغصوب أو بثوبٍ من حرير، ستر العورة شرطٌ لصحة الصلاة فإذا ستر العروة بشيءٍ محرم تبطل صلاته في قول طائفة.

فيه قولٌ ثالث أيضاً: أنها لا تبطل، وأن التجاوب يكون مع موارد الأدلة، وأنه ليس بلازمٍ أن يفيد النهي البطلان، النهي يفيد التحريم في أصح قولي الفقهاء والأصوليين ولكن ليس بلازمٍ أنه يفيد البطلان إلا ما اقترن به دليل أو قرينة.



السؤال: هل النجاسة اليسيرة معفوٌ عنها؟

الجواب: النجاسة اليسيرة كرذاذ البول يعفى عنه فإذا توضأ أو بال وأصابه رذاذ البول فإنه يعفى عن ذلك، والذين يشددون في هذا الباب يقعون في الوسواس، والدليل على أنه يعفى عن يسيره – لأن طبقة يقولون أنه ما يعفى عن يسير البول، حتى الغائط يعفى عن يسيره –: الاستجمار، حين يتغوط الإنسان ويستجمر؛ لابد أن يوجد في فتحة الشرج أو صفحتي الإليتين شيءٌ من أثر ذلك؛ ويُعفى عنه.



السؤال: أحبك في الله.

سؤالي: أني عندما كنت في السنة الثامنة العشرة من عمري كنت منهمكاً في المعاصي وكنت آخذ أموالاً من أهلي دون علمهم، وبعد أن من الله علي بالهداية وأنا نادمٌ على ما فعلت، مع العلم أن المال كنت آخذه على فترات حتى بلغ ستة عشر ألفاً أو أكثر أو أقل لا أعلم، ولكن يا شيخ ماذا أفعل حين أني لا أني لا أستطيع إعادته ولا أستطيع إخبارهم لخوفي أنهم يغضبون علي؟ وماذا علي؟ هل يَسقط عني أم أخبرهم؟ أفيدونا في ذلك.

الجواب: أحبك الله الذ ي أحببتني فيه وجزاك الله خيرا.

أولاً: الحمد لله الذي هدى هذا الأخ إلى الحق ووفقه للصواب.

الأمر الأول: أنه لا يلزم من ردود الحقوق إلى العباد أن تخبرهم بما فعلت، فلا حرج أن تَرد المال إليهم دون أن يعلموا من الذي أخذه، ولا حرج أن ترده إليهم على فترات.

الأمر الثاني: لا حرج أن يَكتب لهم رسالة أو أن يوكل من يتصل عليهم بأنه قد سبق أُخذ منهم مال وقدره كذا وكذا، هل تحللوني؟ لا يخبرهم أنه فلان أو علان يظنونه رجلاً أجنبيا.

إن امتنعوا يطالبهم برقم الحساب أو يخبرهم أنه يضع ألفي كذا وكذا ويتفق معهم على فترات.

قد يضع عنه البعض الشطر أو غير ذلك، وإن لم يضعوا عنه يتفق معهم على قضية التقسيط عليهم؛ لأنه لا يلزمه شرعاً أن يرده جملة لأنه عاجزٌ عن ذلك، كما أشار الأخ في ورقته إلى ذلك.

فهو حين يخبرهم قد يُسقطونه فينتهي أمره، وحين لا يسقطونه قد يسقطون بعضه وحين لا

يسقطون بعضه فإنه يرده إليهم على فترات وتبرأ ذمته بذلك، ولا حرج إذا امتنعوا عن إباحته ويريدونه دفعة واحدة وليس عنده شيءٌ من ذلك؛ أن يأخذ من زكاة المسلمين وأن يرده عليهم.



السؤال: كيف يقوي المسلم ولا سيما طالب العلم في قلبه تعظيم ربه حق التعظيم وخشيته حق الخشية؟

الجواب: هذا الأمر يحتاج إلى التأمل في القرآن والتدبر فإن الله جل وعلا يقول: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾. يتصور كثير من الناس أن هجر القرآن هو هجر تلاوته، وهذا غلط، فهجر القرآن مراتب:

- منه هجر التلاوة.
- ومنه هجر العمل بالقرآن.
- ومنه هجر تدبر القرآن.
- ومنه هجر التحاكم إلى القرآن.
- ومنه هجر التشافي بالقرآن.

الأمر الثاني: التأمل في أسماء الله وصفاته وأن يظهر أثر ذلك على جوارحه، حين يقرأ ﴿وكان عفواً قديرا﴾ يتصف بصفة العفو، الله عفو ويطالبك بالعفو ﴿وليعفوا﴾ ﴿والعافين عن الناس﴾ إذاً حين تقرأ ذلك وأن الله موصوفٌ بالعفو ونثبت لله ذلك إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، ونثبت لله القدرة ﴿عفواً قديرا﴾ إذاً إذا قدرنا على شيء نعفو ونصفح، وهذا العفو صفة كمال في حق الله جل وعلا، والله جل وعلا أمر عباده بالعفو ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾.

وهذه الآية نزلت في أبي بكر حين حلف ألا ينفق على مسطح وكان ابن خالته، وفي نفس الوقت ما كان ذنبه صغيراً! كان ذنبه كبيراً وعظيماً! وكان قد تجاوب مع أفكار الخبيث ابن أبي في قذف عائشة بالإفك وكان يشيع ذلك في أرض المدينة، وكان رجلاً بدريا، ولكنه غُرر به، تجاوب مع المنافقين، وكان الذي ينفق عليه هو أبو بكر ﷺ فحلف ألا ينفق عليه مرةً أخرى، فأنزل الله ذلك ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ قال أبو بكر: بلى. فأعاد عليه النفقة وعفى

وصفح.

فالذين يتأملون في القرآن ويتأملون في أسماء الله وآياته ويتأملون في الأسماء والصفات؛ لابد أن تظهر هذه الأمور على جوارحهم وتتمثل في قلوبهم.

الله جل وعلا أمر بخشيته وأمر برهبته وأمر بالخوف منه، إذا كان الإنسان يخاف من المخلوق مالا يخاف من الله لا يقع في قلبه تعظيمٌ لله، وعدد ممن يطلب من الناس أن يعظموه هو لا يعظم الله ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ ربما يطلق العنان لعينيه في نظر الحرام ولكنه لا ينظر إلى الحرام بحضرة من يُستحيي منه كشيخه أو معلمه أو أحد الوالدين لا يستطيع أن يفعل الفاحشة بحضرة من يُستحيي منه من أقاربه، ولكنَّ الله معك، حين تخلو معك.

وإذا خلـــوت بظلمـــةٍ في بريـــة والـــنفس داعيـــةٌ إلى الطغيـــان

فاســتحيي مــن نظــر الإلــه وقــل لهــا إن الــذي خلــق الظــلام يــراني

﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾، فالذين يستحضرون رؤية الله لهم يبتدعون عن مقاربة المحرمات، الذين يثبتون لله صفة السمع وأن الله سميع ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ يبتدعون عن الغيبة وعن النميمة وعن الوقوع والولوغ في أعراض الآخرين؛ لأن الله جل وعلا مجازيهم على ذلك.

فهذه الأمور تبعث على الخشية.

القراءة أيضاً في واقع سيرة النبي ﷺ وفي خشيته لربه، وفي سير الصحابة، في قيام الليل، في الصيام، في التقوى، في الورع، في نشر العلم، في الجهاد في سبيل الله، في الإنفاق.

أبو بكر ﵁ حين دعاه النبي ﷺ إلى الإنفاق في الجهاد؛ أتى أبو بكر بكل ماله، وكان عمر ﵁ يريد أن يسابقه ويقول: اليوم أسبق أبا بكر! فأتى متكاثراً بنصف ماله يظن أنه يسبق أبا بكر! لأنه أتى بالنصف، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: (ماذا أبقيت لأهلك؟) قال: أبقيت لهم الله ورسوله ﷺ. فقال عمر: والله ما أسابقك إلى خيرٍ أبدا.

